قضايا أدبية

هموم الكاتب العربي المعاصر !

بقلم : ياسر الفهد

سواء أكان الكاتب العربي المعاصر يعاني من هموم عادية تشبه تلك التي يكابدها أصحاب المهن الاخرى أم انه يرزح تحت وطأة محنة تعصف به وتؤرق جفنيه فان من المؤكد انه يعاني ... ويعاني بشدة .

ومتاعب الكاتب العربي التي تثقل كاهله كثيرة ، وقد تقلّ مع ازدياد شهرة الكاتب وسطوع اسمه في عالم الصحافة والنشر ، وتتفاقم كلما انكمش هذا الاسم وكان مغمورا ومطموسا . وليس في نيتنا في هذه الكلمة أن نعرض قائمة بهموم الكاتب العربي جميعها ، بل حسبنا أن نورد بعضا من هذه الهموم التي يقاسي منها الكتاب بدرجات متفاوتة حسب درجة شهرة الكاتب وظروفه .

أولى المشكلات الخطيرة التي تنغل في صدر الكاتب وتسومه العذاب عدم قدرته في كثير من الاحيان على التعبير عن رأيه بصراحة كاملة . ولطالما طالبت مؤتمرات عديدة آخرها مؤتمر الادباء العرب الحادي عشر الذي انعقد في ليبيا في الاول من شهر تشرين اول عام ١٩٧٧ ، بتوفير حرية الكلمة للكاتب العربي ، واعتبرت ذلك شرطا أساسيا لتحقيق التقدم الفكري في الوطن العربي . والحقيقة ان مشكلة حرية الاديب مسألة قديمة كتب عنها الكثيرون وأشبعوها تمحيصا واستقصاء لأهميتها القصوى . ويكفي أن نقول هنا بأن موضوع حريةالصحافة مسألة سياسية أكثر منها أدبية ، وحلها مرتبط بسيادة الديموقراطية السياسية ، وهذا لا يرجى تحققه الا في المدى البعيد .

وننتقل الآن الى الناحية الثانية المتعلقة بالمردود المادي للكلمة (١) . فبالاضافة الى ان الكاتب يحصل على أجر مادي يقل كثيرا عما يناله أصحاب الاختصاصات الاخرى التي تعادل الكتابة من حيث الاهمية ، فان هناك ملابسات وحساسيات كثيرة مرتبطة بمهنة الكاتب . فالكاتب مثلا في معظم الاحيان يدفع قبل أن يقبض ... انه يكدّ ويعرق ويبذل عصارة فكره ، ثم عليه بعد ذلك أن ينتظر وينتظر قبل أن يقبض الثمن المادي والمعنوي لانتاجه . وأكثر من ذلك فان موضوع حصوله على أجره كثيرا ما يقترن بمشاعر الخجل والتردد . فنحن نرى المهندس أو الطبيب أو المحامي يطالب بأتعابه بكل جرأة وصراحة . بينما يعزّ ذلك على الكاتب ، فهو قد يخجل أحيانا من المجاهرة بطلب أجره المادي لان البعض يرون في ذلك غضا من قدره وانتقاصا أدبيا من قيمة العمل الكتابي الراقي الذي يجب أن يترفع صاحبه عن الوقوع في مهاوي طلب الكسب المادي !

واذا كانت الكتابة عملا فكريا راقيا فان الواجب يقضي بأن يكون لها مردود مادي أيضا يتناسب مع هذا الرقي الابداعي . فالفنانون يحصلون على مرابح مادية هائلة دون أن يتهمهم أحد بالاساءة الى حرية العملالفني. وهل الكتابة سوى فن راق اصيل ؟!

والمشكلة الثالثة تتجلى باضطراب علاقة الكاتب بمؤسسات النشر . فالاحراج يحيط بالكاتب حتى عندما يقوم من تلقاء نفسه بعرض انتاجه للنشر . وهناك البعض ينتقدونه حينما يقدم أعماله الى الصحف والمجلات دون تكليف منها ، اذ في رأيهم ان العلم يطلب ولا يعرض ، لان عرضه يقلل من قيمته . ولكن هذا في رأينا هراء ، فالكاتب لا يفترض أن يخلد الى الكسل ويتعطل عنالانتاج منتظرا حتى يأتي من يكلفه بالكتابة في موضوع معين . فهو ينبغي ألا يتوقف أبدا عن الابداع والكتابة . والكاتب عندما يؤلف أو يترجم انما يفعل ذلك كي ينشر أعماله في الصحف أو المجلات أو الكتب لا ليحفظها في ملفات النسيان .

صحيح انه ينشر قسما من انتاجه بناء على خطة وتكليف من مجلات وصحف معينة . الا ان هناك قسما آخر ينتجه بنفسه دون اتفاق مسبق مع أي صحيفة أو مجلة . فهو في هذه الحالة مضطر الى عرض انتاجه على المجلة التي يعتقد ان موضوع أعماله يتناغم معخطتها. فما الضير في ذلك ؟ ولماذا يشعر الكاتب بالحرج في بعض الاحيان عندما يعرض انتاجه على الصحف والمجلات أو يراجع رؤساء التحرير بشأن مصير مقالاته حتىيعرف ما اذا كانت ستنشر أم لا ؟

ان التعاون الادبي بين الصحف والمجلات من جهة والكتّاب من جهة اخرى يجب أن يقوم على أساسالمبادرة المشتركة ، فالمجلة يمكن أن تقوم من جانبها بتكليفالكاتب باعداد موضوعات معينة ، كما ان الكاتب من جهته قد يعرض عليها موضوعات اختارها بنفسه. واذا كان البعض

---

(١) انظر مقالنا « انصاف الكتاب ضرورة قومية » ـ مجلة الموقف الادبي السورية ـ عدد آذار ـ نيسان ١٩٧٦ .

من قصيري النظر يرون في عرض الكاتب انتاجه على المجلات دون طلب منها تطفلا منه عليها ، فلماذا لا يعدون طلب المجلات من الكاتب تزويدها بمقالاتهم تطفلا منها عليه ؟ ان هدف المجلة والكاتب واحد وهو النشر . فمن حق المجلة أن تطلب المقالات بقدر ما يحق للكاتب أن يعرض انتاجه .

وهناك جانب آخر من جوانب العلاقة بين المجلات والكتاب يحتاج الى تنظيم ويتعلق بظلم المجلات أو دور النشر للكتاب وظلم الكتاب للمجلات ! فكيف ذلك ؟!

دار النشر تظلم الكاتب عندما تفرض عليه السعر الذي يناسبها ولا تنشر الا الكتب التي تدرّ عليها ربحا أكبر بصرف النظر عن القيمة الادبية لهذه الكتب . والمجلة أيضا تظلم الكاتب عندما لا تقرن نشر مقاله وابرازه ودفع تعويضه المادي بجودة العمل وأهميته ، بل تربط ذلك بعوامل مزاجية وشخصية ومصلحية ، وهي تظلمه كذلك حينما يزودها بأعماله وبخاصة بواسطة البريد عندما يكون مقر المجلة في بلد آخر غير الذي يقيم فيه الكاتب ثم لا تعلمه بمصير هذه الاعمال . وبذلك توقعه في ورطة . فعندما لا تنشر مقاله تضعه أمام احتمالين هما في غير صالحه ، فاما أن يتجمد المقال لفترة طويلة من الزمن فيفقد هذا جدته ورونقه ومناسبته ، واما أن يرسل المقال الى مجلة أخرى فيفتح المجال أمام ازدواجية النشر مما يسيء الى سمعة الكاتب الادبية .

ونأتي الآن الى الناحية المقابلة ، فالكاتب يظلم المجلة عندما يرسل عملا واحدا الى مجلتين أو أكثر عن سابق عمد واصرار ليتقاضى تعويضين أو أكثر عن هذا العمل . والكاتب الدعي أو الكاتب المرتزق أو لص الكتابة يظلم المجلة عندما يسرق نصا لكاتب آخر فيقدم ويؤخر بعض فقراته ويغير عنوانه ويحور جزءا منه ثم يبعث به الى المجلة لينشره باسمه ضاربا عرض الحائط بكل القيم الادبية والاخلاقية .

ان الظلم المشترك بين مؤسسات النشر والكتاب يدل على ان العلاقات بينهما عشوائية لا ينظمها ضابط ، في حين نرى ان علاقات الاطباء والمهندسين والمحامين بالجهات التي يتعاملون معها منتظمة وتحكمها تشريعات واضحة ، وهذا طبعا في غير صالح الكاتب .

ومن المشكلات البارزة الاخرى عدم قدرة عدد كبير من الكتاب على طباعة كتبهم على نفقتهم الخاصة ، فأسعار الطباعة والورق والكرتون والكليشهات ارتفعت ارتفاعا كبيرا ، ومما يزيد من تكاليف طباعة الكتاب أن الكاتب بصوره عامة لا يستطيع ان يطبع الا عددا محدودا من النسخ بسبب عجزه عن توزيع كتابه خارج القطر الذي يعيش فيه . الكتب المصرية واللبنانية وحدها اليوم تتحرك وتجتاز الحدود . أما الكتاب السوري والاردني والسعودي والجزائري ... الخ ، فهو سجين جدران البلد الذي يصدر فيه . ونتيجة لذلك هناك اليوم عدد كبير من الكتاب العرب يحتفظون بمخطوطات كتبهم ولا يجرؤون على المجازفة بطباعتها على نفقتهم خوفا من الخسارة المادية ، والكتاب المشهورون جدا فقط يستطيعون الاعتماد على دور النشر لطباعة كتبهم (١) .

ومن المشكلات التي يواجهها الكتاب ايضا ان الشعب العربي شعب لا يقرأ ! فهناك كثير من الدراسات والمقالات القيمة التي يبذل الكاتب في اعدادها جهودا هائلة تنشر في الصحف أو المجلات أو الكتب دون أن يطلع عليها سوى عدد قليل جدا نسبيا من القراء ودون أن تثير الا قليلا من الاهتمام !

هذه بعض من مشكلات الكتابة والادب في الوطن العربي وهناك غيرها الكثير .. ولا نستطيع بالطبع أن نأمل بحلول سريعة لهذه المشكلات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة التخلف العام في الوطن العربي . وبقدر ما ننجح مستقبلا في كسر قضبان هذا التخلف والخروج عن طوقه ، تنفسح أمام الكاتب العربي دروب الامل وتنتصر قضية الادب .

* * *

هذه الاعمال « الناقصة » للافغاني

محمد جبريل

عندما أصدر الصديق الباحث الدكتور محمد عمارة ، مجموعة الاعمال الكاملة لمحمد عبده ورفاعة الطهطاوي وجمال الدين الافغاني ، أدهشه سؤالي : هل هذه هي الاعمال الكاملة فعلا ؟.. وروى لي عن العقبات العديدة التي صادفته ، واستطاع ـ بأناة الباحث ودأبه ـ أن يتجاوزها ، وأن ينهض ـ منفردا ـ بما كان يجب أن تتولاه لجان لها امكانيات ..

واذكر اني سألت الدكتور عمارة عن أعمال الافغاني بالتحديد ، فهو لم يستقر ـ في حياته ـ في مكان ما ، ولم يترك بلدا أقام فيه ، لفترة طويلة أو قصيرة ، دون أن يترك اثرا ، أو آثارا ، مكتوبة ، ولو في صورة رسائل الى زعماء وقادة هذه البلاد .. فهل سافرت ـ الدكتور عمارة ـ وراء أعمال الافغاني في فارس مثلا ، أو في فرنسا وبريطانيا وتركيا والهند ؟

فقال بثقة الباحث المقتدر : ان الامكانيات المادية لم تتح لي السفر وراء ما خلفه الافغاني من أعمال .. لكنني كلفت أصدقاء ثقة في البحث عن كل ما يمكن نسبته الى الافغاني ، حتى يتاح لي دراسته ، والوصول الى مجموع الاعمال الكاملة للداعية الاسلامي . وقد حتمت عليّ الامانة العلمية ، أن أحاول التوصل الى آراء الافغاني التي أملاها ، وتلك التي أوحى بفكرتها الى

---

(١) انظر مقالنا في مجلة « صوت فلسطين » عدد حزيران ١٩٧٧ .